ح٨

الإيضاحات المتعلقة بالمعنى الجملي لآية البسملة

٧ ـ إنّ أدب البسملة ينطوي على معانٍ أخرى كالاستعانة والثناء والشكر

الإيضاح السابع: إنّ أدب البسملة وإن كان من حيث ذاته نحو توقير وخضوع لله سبحانه لكنّه ينطوي على عدة معانٍ أخرى.

وهذا الأمر عموماً من طبيعة الآداب، فهي رغم أنّها بمدلولها المباشر تعبّر عن الاحترام والتوقير إلّا أنّها تنطوي على أبعاد عديدة كالشكر والثناء والاستعانة، وهذا أمر يظهر بتأمل الآداب الاجتماعية الجارية في العرف.

ومن المعاني التي تنطوي عليها البسملة ما يلي:

١ –طلب البركة بهذا الاقتران، لأنّ اسم الله سبحانه اسم مبارك، ومعنى البركة هو أن يكون الفعل نامياً ومثمراً ذا آثار إيجابية كأحسن ما يقع في مثله.

ولذلك وصف الله سبحانه في القرآن الأشخاص والأشياء والأفعال المثمرة بالمباركة، فالمسجد الحرام مبارك لأنّه هدى للناس في عقائدهم ومأمن لهم في أموالهم وأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾[1]، والقرآن الكريم كتاب مبارك لأنّه هدى ونور وبيّنات للناس يرشد الناس إلى الحقائق الثابتة (الإيمان) والمسار الصحيح في الحياة والعمل الصالح

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦.

(الصلاة) ويحذرهم عن الاستمرار على الضلال، كما قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾[1]، وهكذا جاء توصيف أشياء أخرى بالبركة كالمسجد الأقصى والمسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) والماء الذي ينزل من السماء وغير ذلك.

٢-الاستعانة بالله تعالى، والمراد بها انطواء البسملة من الإنسان على سؤال الله سبحانه، وبهذا المعنى يختلف عن طلب البركة، لأن طلب البركة نوع من الاستعانة ولكن وفق السنن العامة.

وهذا المعنى يتأكد في البسملة القرآنية من جهة توصيف الله سبحانه بالرحمن الرحيم، وهذا التوصيف طبعاً يجعل الكلام استرحاماً من الله سبحانه ـ أي طلباً للرحمة منه ـ.

ولأجل ذلك ذكر بعض المفسرين أنّ العنصر المعنوي المحذوف في البسملة هو الاستعانة، فالتقدير: (أستعين باسم الله تعالى)، ومن خلال هذه النقطة يرتبط هذا الموضوع بالبحث اللغوي الآتي حول الآية.

٣-الثناء، فالابتداء باسم الله سبحانه في القول والفعل يستبطن نحو ثناء على صفات الذات الإلهية التي يدل عليها ذكره، إذ ذكر كل شيء يعطي المعاني التي اشتهر

---

(١) سورة الأنعام: آية ٩٢، ولاحظ الأنعام: آية ١٥٥، والنساء: آية ٥٠.

بها، كما أنّ ذكر اسم النبي (صلى الله عليه وآله) يعطي معنى نبوته، فذكر الله تعالى الذي عُرف بالخلق والإبداع والتدبير يستبطن الثناء عليه وحمده.

٤-الشكر، وهذا أيضاً معنى قد تستبطنه البسملة، حيث يشعر الإنسان بأنّ ما يأتي به من القول أو الفعل نعمة من الله سبحانه، فالذي يريد أن يتناول الطعام إذا استحضر مواضع إنعام الله سبحانه عليه كان ابتداؤه بالبسملة مصداقاً لشكر الله سبحانه، وكم من أدب وتعامل للإنسان مع صاحب الإحسان إليه ينطوي في البعد النفسي وفي الفهم العام على معاني الشكر وعلى الإحسان الذي يجد من يمارس هذا الأدب نفسه مغموراً به ومديناً فيه لمن يأتي معه بهذا الأدب.

فهذه معانٍ تنطوي عليها البسملة ضمناً.

لكن هذه المعاني ليست مداليل لغوية لجملة البسملة وإنّما هي معانٍ ثانوية تظلل على الكلام، وربما كان اختلاط الحس اللغوي بالمشاعر المرافقة للبسملة هو الذي أدّى إلى اختلاف انطباع المفسرين عن المعنى المقدّر في البسملة، هل هو الفعل المنظور ـ وهو القراءة ـ أو الابتداء أو الاستعانة، ولذلك شرح يأتي في إيضاح لاحق.